Ben Gourion Parle,
(Ed. Stock, Paris, 1971)

هذا الكتاب يضم مجموعة من التصريحات ادلى بها بن جوريون الى جماعة من السينمائيين ذهبوا الى سدي بوكر في النقب لالتقاط صور فلم خاص « لتاريخ حياة وعصر بن جوريون » .

يتحدث بن جوريون عن تاريخ حياته المقترن بتاريخ اسرائيل ، من طفولته ببلونسك في بولندا الى تقاعده وانزوائه بسدي بوكر في النقب ويدلي باراء عديدة تعكس تصوره لليهود وتشير الى مصادر ثقافته وطريقة تفكيره وتقييمه لدولة اسرائيل حاضرا ومستقبلا وتعطي فكرة عن مفهومه للسلم في المنطقة ونظرته للاجئين الفلسطينيين .

لن نتوقف هنا عند تفاصيل حياة بن جوريون(١) وسنقتصر على تبيين الخطوط المميزة لتفكيره وسياسته من خلال اقواله محاولين نقده والاشارة الى بعض اكاذيبه السافرة .

تشكل سياسة بن جوريون وطريقته في التفكير نموذجا يساعد على فهم الحركة الصهيونية ككل . لئن لم يكن بن غوريون منظرا مثل هرتزل فهو واحد من الذين بلوروا الفكرة الصهيونية وكرسوا حياتهم لتجسيدها . ان مفتاح شخصية بن غوريون هي طفولته . عندما ولد بن غوريون كانت فكرة الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيها قد تبلورت ووجدت لها انصارا كثيرين في انحاء عديدة من اوربا الشرقية . كان انجدور جرين والد بن جوريون احد قادة حركة «احباء صهيون» في بلونسك . وكان بن جوريون الطفل يجلس ويستمع الى الحوار الذي يدور بين اتباع الحركة الذين كانوا يجتمعون في منزل والده . ليس غريبا اذن ان نسمع بن جوريون الشيخ يقول : « لا أكاد أذكر حقبة لم تكن فيها فكرة بناء ما كنا نسميه « أرض اسرائيل » ، العامل المسيطر في حياتي. لا ابالغ اذا قلت اني في الثالثة من العمر كنت احلم بالرحيل الى فلسطين ومنذ بلغت العاشرة كنت لا اتصور ان اقضي حياتي في مكان اخر .

ان احداثا مختلفة في طفولتي قد وجهتني الى هذا السبيل . كنت في الثالثة من العمر عندما بدأ جدي يعلمني العربية [...] . عندما كنت استمع الى جدي يقص علي بعض الحكايات اليهودية التقليدية ، كنت أقول لنفسي : « بلونسك ليست وطني الحقيقي . اننا نعيش هنا وسط الاجانب. علي أن انزح الى ارض اسرائيل » . في نفس تلك الحقبة من حياتي قدم هرتزل الى مدينتنا الصغيرة [...] . لقد استقبله أهل بلونسك كأنه المخلص . كانوا يصيحون : « لقد جاء المخلص » . لقد كان لذلك تأثير عميق علينا نحن الاطفال [...] . منذ رأيته كنت على أهبة لترك كل شيء والسير وراءه الى ارض جدودي [...] . في تلك الفترة كان المناخ العام السائد في كل مناطق شمال — شرق الدانوب يحث يهود جيلي على الوصول بالامور الى نهايتها المنطقية : الهجرة الى أرض اسرائيل وبناء وطن يهودي فيها ، بينما كان أهلنا يقتصرون على الحديث عن ذلك ويحلمون وينتظرون تحقيقا سحريا للنبوءات القديمة دون تحريك ساكن . بهذا المعنى كان هرتزل « مخلصا » حقا ، اذ كان يكهربنا ، نحن الشباب ، باقناعنا بأن بناء « أرض اسرائيل » كان شيئا ممكن التحقيق . على أنه كان يضيف أن الشرط الاول لذلك هو أن نذهب هناك ونعمل بأيدينا . (ص ٤٢ — ٤٣) .

لا يخفي بن جوريون انه شخصيا لم يتعرض الى أي اضطهاد بصفته يهوديا . فصهيونيته ليست نتيجة مباشرة للاسامية بل هي حصيلة ثقافته الدينية من جهة وحصيلة التيار الصهيوني الذي كان ينادي بتجريد النصوص الدينية من طبيعتها الصوفية وتحقيق مضمونها الاساسي ، في نظره ، : العودة الى « أرض اسرائيل » ، من جهة اخرى . فبن غوريون يعرف اليهود ليس بالانطلاق من واقعهم كبشر ، كمواطنين في بلد معين بل من خلال كتبهم الدينية . ومن ثم رفض كل اندماج وكل تآزر وتضامن مع الشعوب المضطهدة، هي الاخرى ، التي يعيش بينها اليهود . « ان الكتاب المقدس هو انتدابنا » . هذه كلمة بن جوريون الاولى والاخيرة والتي ظلت جواد نزاله من بدء حياته السياسية الى تقاعده وشيخوخته

---

(١) راجع كتاب **دافيد جوريون** ، تأليف تهاني هلسة ، نشر مركز الابحاث ، بيروت ، نوفمبر ١٩٦٨ . فيه عرض واف لحياة بن جوريون ومواقفه السياسية طيلة ما يزيد عن نصف قرن.